

منتدى الدوحة: من منبر الفوضى الخلاقة إلى الأهمية الإسلامية

لقاء يؤسس لمرحلة جديدة من استقطاب الرياح الأجنبية لنشر الفوضى في المنطقة



منتدى بأجندة مسمومة

توفر قطر عبر منتدى الدوحة فرصة جديدة للمتريّسين بالمنطقة من خلال إعادة دورة جديدة من الشراكة المشبوهة لاخراتها وبسط نفوذهم فيها، من إيران المرهقة بتأثير العقوبات القاسية، إلى تركيا بكل وراطاتها المتناثرة في الجسد العربي، وصولاً إلى جماعة الإخوان، بما يجعل من هذه اللقاء يؤسس لمرحلة جديدة من استقطاب رياح الفوضى للمنطقة.

عمر علي البدوي
صحافي سعودي

مجدداً تجتث الدوحة عن فرصة لتأهيل دورها في المنطقة وفي حسابات الفاعلين الدوليين، بعد كمية الخسارات التي تسببت بها لنفسها ولمحيطها العربي، وخراب مشروعها الذي روّجت له وبذلت في سبيله الأموال والرجال.

مرة أخرى، وعبر منتدى الدوحة، تحاول إغاث دورها وترميم سمعتها والنقاط أنفاس زبانتها، بارتكاب محاولة جديدة تسلم المنطقة إلى العواصم الأجنبية التي سدت في وجهها الأبواب، وأبت المجتمعات والحكومات العربية الانضمام تحت راياتها، وقد اهترت من رياح الرفض وانتكست أمام موجة الامتناع والتأني.

منتدى الدوحة الذي عقدت أشغاله مؤخراً في العاصمة القطرية، يؤسس لمرحلة جديدة من استقطاب الرياح الأجنبية لتوافق إعادة الانتشار التي تقوم بها قوى الفوضى في المنطقة، تحضيراً لمرحلة جديدة من تفكيك المنظومة العربية وإحلال مشروع تفككت ملامحه منذ عقدين تقريباً. ويعقد المنتدى على مسافة أيام من قيام القمة الإسلامية المزمومة في العاصمة الماليزية كوالالمبور، ولعل اختيار رئيس وزراء ماليزيا مهاتير محمد شخصية العام في منتدى الدوحة إيدان بانطلاق شراكة الاستهداف التي تتبناها المنظومة الخاسرة في رهان ما يسمى الربيع العربي.

مهاتير الذي رفض ما تواجهه إيران من نتائج سلوكها التخريبي

التركية اللببية، وإعطاء صفة الشرعية على التدخلات التركية في أرض عربية جديدة، بعد سوريا التي لاقى فيها العدوان التركي كل الرفض والشجب من الإجماع العربي.

منتدى الدوحة يؤسس لمرحلة جديدة من استقطاب الرياح الأجنبية لتوافق إعادة الانتشار التي تقوم بها قوى الفوضى في المنطقة، تحضيراً لتفكيك المنظومة العربية

والشأن في المنطقة، والفك الذي أوقعته بالسوريين، والرفض الذي تواجهه في صنعاء وبيروت وبغداد، عاد عن تقاعده لإحياء أمل الإسلاميين في بسط نفوذهم وفرش مظلمهم في فضاء المنطقة.

ولعلها التقنية نفسها، تلك التي تعتمد على تلميع شخصيات معينة، لتمثل رمزية المرحلة، وقائدة ركب الماخوذون بوجه الزعامات، لإسيما وأن شمس الرئيس التركي رجب طيب أردوغان أخذت في الغروب، ونجمه باتجاه الأقول الحتمي وقد استنزفته العود المهترئة وحجبته الحقائق القاسية.

في منتدى الدوحة الأخير، بحث فايز السراج مع وزير الدفاع والخارجية التركيين مذكرتي التفاهم

وكذلك فعل من يوصف بمستشار الأمن القومي العراقي فالح الفياض، ولقاؤه بوزير الخارجية الإيراني محمد جواد ظريف، على هامش المنتدى في أحد فنادق الدوحة، وبحث معه القضايا ذات الاهتمام المشترك بين طهران وبغداد كما زعم في الخبر. وعلى هذا المنوال كان تاريخ هذا المنتدى، محلاً للقاء الأجنحة المسمومة، وورشة مفقوحة لتصميم السياسات المشتتة للمجهود العربي، واختراق أركان تماسكه واستقراره، منذ كان تأسيساً لحالة من الشراكة الوظيفية بين البسار الأميركي وما يسمى الإسلام المعتدل الذي يضمن لواشنطن مصالحها ويحقق للمنطقة استقرارها والانتعاش من الاحتباس الذي يطبق عليها.

قدم المنتدى تسويقاً دولياً لجماعات الإسلاميين بوصفها بديلاً مناسباً ومواتياً لفرض الديمقراطية في المنطقة الذي تبنته الإدارة الأميركية. وقد مولت القوى الشريكة والمستفيدة من وجبات الثورات كل الفعاليات المؤدية إلى مرحلة الربيع العربي. وفتحت الشاشات والمنظومات المشبوهة والصفقات المبرمة واللقاءات الدورية والورش التدريبية، شهية المجتمع العربي المحتبس في نفق مسدود للانقلاب على الأوضاع. ولكن النتائج كانت مخيبة، والإسلاميون لم يطل بهم المقام في موقع التأثير، والهوى الأميركي تغير إلى مرحلة من الانسحاب البطيء

من المنطقة، والكثير من بقع الربيع تحولت إلى يورٍ متزامنة ومحتقنة، وتحملت الدوحة عبء الأحلام المكسورة وهياكل الحكم المهجورة، وخسرت الكثير من سمعتها وما أذخرته لساعة التمكين. يؤد المتريصون بالمنطقة اليوم، أن يجتمع شتات أمرهم عبر الدوحة، وإعادة دورة جديدة من الشراكة المشبوهة لاخرات المنطقة وبسط نفوذهم فيها، من إيران المرهقة بتأثير العقوبات القاسية، إلى تركيا بكل وراطاتها المتناثرة في الجسد العربي، وجماعة الإخوان التي تكابد إعاء جولة خاسرة من أحلام التمكين المبددة، فيما تستمر الدوحة مجدداً في لعب دورها الوظيفي الذي لا يعود بالخير عليها وعلى المنطقة ككل.

التلاعب بمفهوم القوامة الدينية وسيلة السلفيين للتغلغل في المجتمعات

محمد الحماصي
كاتب مصري

أسفرت الانتخابات التشريعية في مصر سنة 2012 عن تصدّر حزب الحرية والعدالة الذراع السياسية للإخوان المسلمين، بواقع 43 بالمائة من المقاعد البرلمانية، بينما حصلت الكتلة السلفية المكونة من حزب النور وحزب الإصلاحة وحزب البناء والتنمية 25 بالمائة من المقاعد. مع العلم أنّ كل هذه الأحزاب أنشئت بعد الثورة، أي أنها في أقل من عام استطاعت أن تحصد ربع المقاعد في مجلس النواب.

تذكر الكاتبة رباب كمال في مقدمة كتابها "القوامة الدينية في خطاب السلفية" ذلك اليوم حين سمعت بعض الإعلاميين يستهجنون ما آلت إليه الانتخابات، ويتساءلون: كيف استطاعت الأحزاب الإسلامية والكتلة السلفية تحقيق هذه النتائج؟ وكيف استطاعت الأفكار الدخيلة أن تنتصر على المجتمع؟ وتقول "كان السؤال الذي يتبادر إلى الأذهان هو: هل السلفية دخيلة على المجتمع أم أنّ النخب انعزلت مجتمعياً إلى درجة الانفصال عن الواقع؟". لتبين أنّ انتصار السلفية الحقيقي في الانتخابات التشريعية لم يكن ناجماً عن قدرة الأحزاب على الانتشار السريع، بل يعود إلى انتشار الأفكار السلفية مجتمعياً، أي إلى "تسلف المجتمع" العربي.

وتكشف الكاتبة المصرية أن الانتخابات التشريعية التي عرفتها مصر مع ثورة يناير سبقتها مظاهرة

حاشدة الجمعة 29 يوليو 2011، في ميدان التحرير في القاهرة، عرفت باسم جمعة الشريعة بين أنصار السلفية، بينما عرفت بـ"جمعة قندهار" بين جموع التيار المدني. لعل أهم ما قيل في جمعة الشريعة جاء على لسان أحد المتظاهرين، حين قال "نحن القوامون"، وهي عبارة، وإن صدرت عفواً، لا يستهان بها، لأنها تحمل في طياتها الفكر المؤسس للسلفية في البلاد ذات الأغلبية الإسلامية.

وتلفت إلى أنّ اللفظ ليس بغريب، حيث سبق له أن تردد على مسامعنا من خلال ما كتبه القيادي في حماس أحمد يوسف من خلال كتابه "الإخوان المسلمون والثورة الإسلامية في إيران"، والذي أشاد فيه بكل من حسن البنا وأية الله الخميني قائلاً "نامل في ظهور جمهورية أخرى للقرآن والسلطان في المستقبل، لتتحقق لأمنا مكانة القوامة على الناس". وتوضح كمال أنّ القوامة من الألفاظ الشرعية التي ارتبطت ذهنياً لدى العامة بقوامة الرجال على النساء، استناداً إلى الآية رقم (34) من سورة النساء "الرّجال قوَامُونَ عَلَى النّساء بما فضّل الله بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وبِما أنفقوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ". غير أنّ المفهوم تسلل إلى الحقل الديني ليصبح في فهم البعض

وتتابع "القوامة أي الوصاية الدينية في الخطاب الديني الإسلامي هي الجائزة الكبرى لمن يملك صحيح الإسلام، ولكل فئة من رجال الدين صحيح إسلام مختلف عن صحيح الآخرين، بحسب الانتماءات المذهبية والتفسيرات الفقهيّة، ومن هنا ينشأ الصراع على من يحظى بدور ظل الله على الأرض، وهو مبدأ كهنوتي بصيغة إسلامية".

ويعدّ من الخطأ أن نعتقد أنّ النزاع على صيغة الإسلام قاصر على رجال الدين والمشايخ، بل امتد إلى السلطة في الحكومات المدنية، التي تتخذ من الإسلام مرجعية تشريعية، ولهذا فإنّ البحث في خطاب القوامة الدينية على خطاب السلفية بشكل خاص، يجب ألا يتم دون فهم البيئات السياسية والاجتماعية التي نشأ فيها. فكثر ما تُمارس القوامة الدينية على المجتمعات الإسلامية في إطار تعاون واضح بين السلطة الحاكمة والمؤسسات الدينية الحكومية التابعة لها أو الجماعات الإسلامية المداهنة لها.

وفي حالات أخرى، تسعى بعض الجماعات الدينية إلى مناصرة السلطة وانهايمها بأنّها لا تطبق صحيح الدين. ومن هنا تبدأ المزايدات بين السلطة المدنية والجماعات الدينية على صحيح الإسلام، والصراع على احتكار صحيح الإسلام ليس انتصاراً للدولة المدنية، بل هو انتصار لفكرة الخلافة الإسلامية. وتشدّد كمال على أنّ خطاب السلفية يستند إلى مفهوم القوامة الدينية على المجتمع، ويصنع من نفسه ظلاً لله على الأرض، سواء أكان خطاب ولاء أم خطاب معارضة للسلطة.

وتشير إلى أنه ربما تختلف السلفية المؤيدة للسلطة عن المعارضة لها، بحيث ترى الأولى أنّ الحكام ليسوا من الطواغيت، وعلى العامة طاعة أولى الأمر منهم، بينما ترى الثانية أنّ الحاكم بغير أمر الله يعيد إلى أمة الإسلام زمن الجاهلية، إلا أنّ بينهما قاسماً مشتركاً، ألا وهو رؤيتهما للمجتمع. وتستغل السلفية المؤيدة لأي سلطة عربية حزمة القوانين التي تتيح لها فرصة تحريك القضايا القانونية مثل قضايا إزراء الأديان ضد الأدباء والمفكرين والفنانين، متسلحين بشدح هم العامة من الجماهير بهدف نصرة الإسلام، وغالباً ما توائم السلطة مصالحتها مع التيارات السلفية المؤيدة لها التي لا تخرج

عن دورها أو الحدود التي لا يجب أن تتخطاها. وتنبه كمال إلى أنّ ما يعرف باسم الربيع العربي ساهم في زيادة المساحة التي تتحرك فيها السلفية، فانتقلت بعض التنظيمات السلفية من العمل الدعوي إلى العمل السياسي، وعلى جانب آخر ازدادت شوكة السلفية الجهادية في المناطق التي تآثرت أمنياً إبّان موجة الثورات العربية. وقد تعامل جزء من الإعلام العربي مع السلفية بتابع من منطلق ظاهرة الفقاعات، أي عدّها ظاهرة حديثة غير مؤسّسة، وسيطرت عليه مصطلحات تدمر عن القراءة السطحية. واستهجن كمال تناول بعض وسائل الإعلام المثقفة مسألة السلفية بنسب من التعميمات بالزوال، وخاصة في مصر، بعدما سيطر الجيش على سدة الحكم من جديد، مؤكدة أنّ جزءاً من النخب لم يهتم كثيراً بمشكلة تسلف الثقافة والتعليم والمؤسسات الحكومية وتسلف بعض منظمات المجتمع المدني. وشككت كمال في رؤية النخب التي حصرت المواجهة مع السلفيين بالمناظرات التلفزيونية، على أهميتها، معتبرة أنّ الاستراتيجية في التعامل مع تغلغل الفكر السلفي لدى القواعد الجماهيرية مازالت غائبة عن المجتمع المدني بداية من تطويع القوة الناعمة وانتهاء بتبني المشاريع التنموية. لتخلص الكاتبة المصرية إلى أنّ النخب تحتاج إلى رسم خطوط متوازنة للعمل والاشتباك الجماهيري في مسائل تنموية على مستوى أكبر. وهو ما قد يتطلب عقوداً طويلة لباتي بمرورده.



الكتاب يعتبر أنّ النخب المثقفة تناولت مسألة السلفية بشيء من التعميمات بالزوال، وخاصة في مصر، غير أنّها لم تهتم كثيراً بمشكلة تسلف الثقافة والتعليم والمؤسسات الحكومية وبعض منظمات المجتمع المدني